المشهد
العدد 312 السنة الحادية عشرة- الأحد 27 مارس 2022م - 24 شعبان 1443هـ

قالت العرب

قالَ الذين نحبهم: كثرَتْ تواريخُ المراثىْ / ظلها يمتدُّ / لا يمتدُّ أبعد
منْ مدى البصرِ الكليلِ / بأىِّ شجو نحتمى ؟! / أهىَ البصيرةُ / أم هىَ
الأبصارُ قد عَميَتْ / سواءٌ عندها الورقاءُ والعنقاءُ ، والصِّدّيقُ والزنديقُ
/ والمسخُ الدَّعىْ

«التنين النائم» يعود للواجهة مع اشتعال الأزمة الروسية – الأوكرانية

الصين تتبع سياسة «وسط العصا» وتنتظر جنى ثمار الت

كانت عبارة «التنين النائم» متداولة بقوة فى الأوساط الأكاديمية السياسية والإعلامية الأمريكية بداية الثمانينات وحتى نهاية التسعينات، فى إشارة إلى الصين، حيث كان الخوف من استيقاظ «التنين» هاجسا لا يفارق السياسيين والاقتصاديين على حد سواء، بعد أن جذبت الصين الصناعات الثقيلة من أمريكا وأوروبا، فزادت البطالة والركود، وبسط التنين جناحيه فصار الشريك الأكبر للولايات المتحدة بقوى مادية وبشرية لا تقارن، وعلى جانب آخر لم تدخل الصين معارك عسكرية واقتصادية تكبدها الخسائر، كما فعلت الولايات المتحدة بخسارتها ما يقارب من ٢٢ تريليون دولار.

والأزمة الروسية - الأوكرانية رغم عدم تماسها المباشر مع الصين؛ وأكثر شراسة مع ما حققته الصين طوال العقود الماضية من تفوق تتضارب الرؤى حول دور الصين فى الأزمة الروسية- الأوكرانية ال الدبلوماسى الذى بدأ بالامتناع عن إدانة التصعيد العسكرى الروس اللوجيستى لروسيا عبر رفض تزويدها بقطع غيار للمقاتلات العس دوراً محايداً خلال الأزمة الراهنة بين روسيا والغرب.

ولكن ماذا عن مستقبل الصين فى ظل الأزمة، هل ستضحى بمصالحها الاقتصادية مع الغرب لصناعة عالم متعدد الأقطاب؟ أم تظل قوة مسالمة لا شأن لها بالصراع حول القيادة؟

كثير من الخبراء أكدوا أن عدم قدرة بعض الشركات على تصدير قطع غيار يعود إلى طبيعة تلك الشركة وأسهمها ورأس المال الأجنبى أو الغربى داخلها، وعلاقاتها التجارية بالغرب، ويرون أن الصين تحرص على استثمار الفرص التى تنطوى عليها الأزمة، إلى جانب احتواء التحديات التى قد تشكلها لها، لضمان الحفاظ على نتائج تفضى إلى تسجيل نقاط لصالح تعزيز تموضعها فى النظام العالمى الجديد.

فى الوقت نفسه كان اللقاء الأخير الذى عقد بين روسا والصين قبل بداية الألعاب الأولمبية عندما وصف الرئيس الصيني، شى جين بينج، العلاقات مع روسيا بـ«فوق الاستراتيجية» منوهاً بأن العلاقات بين البلدين انتقلت إلى مرحلة متطورة اقتصادياً، إذ تخطى حجم التبادل التجارى بينهما ١٤٠ مليار دولار، فى وقت تطمح الدولتان فى دفع هذا التبادل حتى يصل إلى ٢٥٠ مليار دولار سنوياً، فى المقابل تعد الصين الشريك التجارى الأول لأوكرانيا وترغب بحسب مسؤوليها فى الحفاظ على علاقات جيدة مع كييف.

تعددية قطبية

يشير نائب رئيس المعهد الدولى للدراسات الإيرانية، دكتور أحمد القرني، إلى أن الصين تنظر إلى الأزمة الروسية- الأوكرانية الراهنة باعتبارها حلقة مهمة ضمن حلقات سابقة، فى إطار عملية تراكمية فى تحول النظام العالمى إلى متعدد الأقطاب، لافتاً إلى أن مواقفها من الأزمة تتحدد وفق أهدافها ورؤيتها المستقبلية، خاصة فيما يخص نتائج الأزمة على بنية النظام الدولى قيد التشكيل، باعتباره هدفا صينيا - روسياً مشتركا تم التعبير عنه فى مناسبات مختلفة، منوهاً بأن الصين تحرص على استثمار الفرص التى تنطوى عليها الأزمة واحتواء التحديات التى قد تشكلها، إلى جانب الحفاظ على نتائج تفضى بتسجيل نقاط لصالح تعزيز تموضعها فى النظام العالمى الجديد.

وأكد القرنى أن الصين تسعى إلى إفشال تحقيق حلف الناتو انتصارا عسكريا ضد روسيا، باعتباره محفزاً للعمل الجماعى مستقبلاً ضد الصين بما يشكل تحدياً جيوسياسياً، لافتاً إلى أن الصين تعمل منذ فترة بشكل غير مباشر على إضعاف فعالية العلاقات الأمنية والدفاعية الأمريكية - الأوروبية، أو تشكيل تكتل سياسى قوى من قبل أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية باتجاه روسيا، مشدداً على استفادة الصين من فك ارتباط ضفتَيْ الأطلسي، إذ إن مزيداً من التوافق بينهما يمكن أن يزيد من هيمنة الولايات المتحدة على أوروبا والتأثير فى قراراتها.

ولفت القرنى إلى أن الصين ستعمل فى الجانب الاقتصادى على عرقلة العمل بنظام التبادل المالى الدولى «سويفت»، خاصة أن نجاح الغرب فى توظيفه ضد روسيا، يعنى امتلاك أداة مالية يمكن توظيفها ضد الصين مستقبلاً، مؤكداً حرص الصين على عدم تأثر علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب بما يعرقل مشروع «الحزام والطريق».

وأكد أن الصين تظهر نفسها طرفاً محايداً، تسعى للترشح للقيام بدور وسيط منافس لدور السعودية والإمارات، غير أن الغرب يدرك استثمار الصين للأزمة ولا يضمن حيادها، ويخشى وقوفها إلى جانب حليفتها روسيا ضد الولايات المتحدة الأمريكية، مدللاً على ذلك بمرونة الموقف الصينى المعلن فى أعقاب العملية العسكرية الروسية فى أوكرانيا، إذ لم توصف العمليات العسكرية الروسية داخل أوكرانيا بأنها «غزو»، أو «اعتداء» على السيادة الأوكرانية، على نحو ما ذهبت إليه المواقف الأمريكية والأوروبية.

حياد بكين

وشدد القرنى على صعوبة حياد الصين فى ظل أملها بنجاح روسيا فى أوكرانيا، ما يعطى رسالة واضحة للولايات المتحدة والغرب والنخبة الحاكمة فى تايوان، أن قضايا الأمن القومى لا تخضع للمساومة، خاصة أن الحسابات الروسية فى قضية توسع «الناتو» فى اتجاه الحدود الروسية ينطبق أيضاً على قضية تايوان باعتبارها قضية أمن قومى بالنسبة للصين، لافتاً إلى أنه لا يمكن استبعاد استخدام الصين القوة العسكرية فى حالة إقدام النخبة الحاكمة فى تايوان على إعلان الاستقلال من جانب واحد أو بدعم من الولايات المتحدة.

وأوضح أن الأزمة الأوكرانية تشكل فرصة ثمينة للصين، بعد أن جعلت كثيراً من دول العالم تعيد التفكير فى علاقتها بواشنطن باعتبارها ضامناً أمنياً، لافتاً إلى أن العقوبات الغربية على روسيا أظهرت للعالم دور مؤسسات دولية فى التحكم بمستقبل دول، ما يجعل دول العالم الكبرى والصاعدة تبحث عن بدائل

د. نادية حلمي: الحلم الصينى بتحقيق مجتمع «رغيد الحياة» يبدأ بطريق الحرير

للأنظمة المالية والترتيبات التجارية التى تهيمن عليها الولايات المتحدة الأمريكية.

حرب اقتصادية

من جهتها تؤكد الدكتورة نادية حلمى الخبيرة فى الشؤون السياسية الصينية والآسيوية - أستاذ مساعد العلوم السياسية جامعة بنى سويف، أن النظام الدولى متعدد الأقطاب بدأت تتضح ملامحه بالفعل وله أوجه تطبيقات وملامح كثيرة، فكما تظهر الدراسات الأخيرة التى أجراها (مركز بيلفر بجامعة هارفارد الأمريكية)، فإن الصين تلحق بسرعة بالولايات المتحدة الأمريكية من حيث التكنولوجيا والقدرات العسكرية والاستراتيجية، بالرغم من هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على التمويل الدولى والبحث والتطوير.

وتقول: تدرك الصين جيداً الرغبة الأمريكية فى الهيمنة عالمياً والرغبة الانفرادية الأمريكية فى القطبية الأحادية وتوجيه العالم كله، لذلك تشعر الولايات المتحدة الأمريكية بالقلق من القوتين الصينية والروسية، مع إدراك أن الصين تعد أكبر ثانى اقتصاد متطور فى العالم ولديها قدرات دفاعية عسكرية هائلة، كما تعد حليفتها الروسية بمثابة قوة عسكرية هائلة تخاف منها واشنطن وحلفاؤها فى حلف الناتو، وهو ما اتضح خلال حرب أوكرانيا، فضلاً عن النفوذ الإقليمى لروسيا والصين سوياً بامتلاكهما لحدود متشابكة ولمساحات جغرافية مترامية الأطراف داخلياً وخارجياً، بالإضافة إلى وفرة الموارد، ويبقى الأبرز عندى هو تشجيع مواطنيهم على (الإيمان بفكرة المد القومى والشعور بالقومية الشعبية وبالقوة عالمياً فى مواجهة الهيمنة الأمريكية والغربية لتوقيف وتحجيم قوتهما والدعوة للالتفافالشعبيالقومى مع قياداتهما).

تماسك استراتيجي

وتضيف: تسعى الصين لتحقيق درجة عالية من التماسك الاستراتيجى مع روسيا، مع (توسيع نطاق تحالفاتهما عالمياً بين بلدان الجنوب النامية والدول الأفريقية والعربية وبلدان أمريكا اللاتينية). لذلك، تدرك الولايات المتحدة الأمريكية مدى قوة التحالف والشراكة بين الصين وروسيا، ودعمهما القوى لبعضهما البعض سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً. كما باتت الصين أكثر إدراكاً أنه من خلال التعاون السياسى والاقتصادى والأمنى العميق مع روسيا، ستضمن الصين إمكانية تشكيل تعددية قطبية، بوجود أكثر من قطب دولى وإقليمى حول العالم، مع التأكيد على توسيع ذلك عبر (تشجيع المزيد من مختلف البلدان النامية على الانضمام لتحالفهما لإصلاح المنظومة العالمية الحالية التى تهيمن عليها السياسات الأمريكية وتقوض بها سيادة الدول الضعيفة والمهمشة عبر التدخل فى الشؤون الداخلية للدول لضمان سيطرتها).

ونجد أنه فى مواجهة القوة الإقتصادية الأمريكية، تمثل الصين وروسيا معاً نحو ٧٧٪ من الناتج المحلى الإجمالى للولايات المتحدة الأمريكية منفردة، وذلك بالقيمة الحالية للدولار وقياساً بتعادل القوة الشرائية لروسيا والصين سوياً مقارنة بواشنطن، وفضلاً عن ذلك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية باتت فى الوقت الحالى مثقلة بالديون، والتى تزايدت حدتها لتصل إلى حوالى ٣٠تريليون دولار، مع (تجاوز نسبة الدين الأمريكى قيمة ونسبة الناتج المحلى الإجمالى بها، وهو الأمر الذى تدركه الصين جيداً بشأن تراجع القوة الاقتصادية الأمريكية عالمياً).

وبالنظر لتفهم الولايات المتحدة الأمريكية لمؤشرات ومحاور قوة الصين وروسيا، باتت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر ترويجاً لمفاهيم صدامية فى مواجهتهما، كأكثر الدول تهديداً للعالم. مع التركيز الأمريكى على (قضية الصعود الصينى والمواجهة الأيديولوجية مع الحزب الشيوعى الصينى كحضارة مختلفة عن الغرب والمفاهيم الليبرالية الأمريكية والغربية. نتيجة لذلك، باتت واشنطن أكثر حرصاً على عرقلة ووقف النمو الصينى تحديداً وتحجيم نطاق وحدود الشراكة والتحالف بين الصين وروسيا). وهو ما حللته بدقة خلال الحرب الأوكرانية الروسية، بالإصرار الأمريكى على ضرورة تبنى الصين لموقف واضح من تلك الحرب الروسية ضد أوكرانيا، ومحاولة واشنطن أخذ تعهدات صارمة فى مواجهة الصين لضمان عدم دعمها لروسيا اقتصاديا، وهو ما تبهت له الصين وقياداتها الشيوعية وفطنت لتلك الأساليب الأمريكية للوقيعة بينها وبين روسيا والرئيس "بوتين".

ويدرك العالم كله، بأن تلك العلاقات والتحالفات الوثيقة بين الصين وروسيا تعد هى حجر الزاوية الأساسى لإقامة وتشكيل نظام دولى متعدد الأقطاب، وذلك فى مواجهة السياسات الأمريكية التى لا تزال تسعى للحفاظ على تفردها المهيمن عالمياً. ولذلك، فإن الصين وروسيا تحاولان توسيع نطاق شراكاتهما الدولية من خلال (طريق الحرير الصيني، إطلاق مبادرات للشراكة التنموية مع بلدان الجنوب النامية والدول الأفريقية والعربية وبلدان أمريكا اللاتينية والجنوبية)، لأن النجاح فى تلك الاستراتيجية كفيل بكسر تلك الهيمنة الأمريكية، ويعد بمثابة ضمان أساسى للانتقال إلى عالم متعدد الأقطاب.

وهنا نحلل مدى تأثير الأخطاء الاستراتيجية التى ارتكبتها الولايات المتحدة الأمريكية لزعزعة الاستقرار العالمي، بزيادة حدة الصراع والاستقطاب الدولي، فضلاً عن عجزها عن تحديث النظام العالمي، للتغلب على أوجه القصور والتحديات والمنافسات الجديدة، ولكن واشنطن خلقت العديد من الأزمات الدولية فى أجزاء كبيرة من العالم، مثل: (أفغانستان، العراق، سوريا، فنزويلا) ... إلخ. وأنفقت ميزانية كبيرة تعدت ٨ تريليونات دولار للحرب على الإرهاب، والتى ثبت مدى الفشل والعجز الأمريكى فى مواجهته بعد انسحابها المهين من أفغانستان وسيطرة حركة طالبان على الحكم، وهى تلك السياسات الأمريكية الفاشلة دولياً والتى تسببت فى حدوث حالة من الانقسام العالمى فى مواجهتها.

الحلم الصيني

تستطرد الدكتورة نادية حلمى قائلة: من وجهة نظري، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول هنا (استغلال أزمة الحرب الروسية الحالية ضد أوكرانيا لتوحيد جبهة حلف الناتو وأعضائه فى الغرب لمواجهة روسيا والرئيس «بوتين» تحت قيادتها لتأكيد هيمنتها وتفردها عالمياً فى مواجهة الصين وروسيا، وهو ما يجب أن تفطن له دول الاتحاد الأوروبي، بالنظر لمخالفة الولايات المتحدة الأمريكية لعهودها والإضرار بمصالح شركائها الأوروبيين، (ويعد المثال الأبرز عندى على ذلك هو التوقيع الأمريكى لاتفاقية أوكوس الدفاعية العسكرية مع أستراليا وبريطانيا فى مواجهة فرنسا)، مما تسبب فى خسارة الأوروبيين وفرنسا لتلك الصفقة تمريراً لمصالح واشنطن وأنانيتها المفرطة فى التعامل مع حلفائها الأوروبيين بتفضيل مصالحها عليها وتمريرها فى مواجهتهم، والإضرار بهم من الناحية العملية.

من جانب آخر، أخفقت الولايات المتحدة الأمريكية فى التكيف مع الاقتصاد العالمى المتغير بعكس الصين بعد عدد من الأزمات الاقتصادية العالمية، مثل: (جائحة كورونا، الأزمة المالية العالمية فى٢٠٠٨، أزمة أوكرانيا)، وغيرها. مما تسبب فى (فقدان ملايين المواطنين الأمريكيين لوظائفهم، وبالأخص فى مجال التصنيع والتكنولوجيا)، وهو ما حاولت الولايات المتحدة الأمريكية التنصل منه داخليا بإلقاء اللوم على السياسات التجارية غير العادلة التى تنتهجها الصين دولياً.

وسنجد هنا مدى إصرار الرئيس الصينى "شى جين بينغ" فى كافة خطاباته السياسية على التأكيد على مفهوم (المصير المشترك للبشرية)، والتأكيد على شعاره حول (حلم الصين)، بتحقيق مجتمع رغيد الحياة، والعمل وفق مبدأ المنفعة المتبادلة للجميع، والربح للجميع دولياً. مع تركيز الرئيس "شى جين بينغ" على المسار المؤدى إلى تحقيق هذا الحلم الصيني، عبر ثلاث محاور، (الطريق الصيني، الروح الصينية، والقوة الصينية). وبناء على هذا الطرح، يمكننا التوصل بأن الهيمنة الأمريكية قد انتهت عالمياً بالفعل أو فى طريقها إلى الزوال أو التلاشي، ولكن تحقيق (توازن قوى عالمى مستقر) مازال أمراً ممكن الحدوث.

وربما سنجد بعد حرب أوكرانيا، زيادة حدة التنافس الأمريكية الصينية، وكثافة فى تواجد الأساطيل الأمريكية فى منطقة بحر الصين الجنوبي، وإجراء المزيد من المناورات البحرية الاستفزازية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتايوان وحلفائها فى منطقة "الإندو-باسيفيك" كإشارة تحذيرية من واشنطن إلى الصين وحليفتها الروسية بعد حرب أوكرانيا، تشير إلى التصميم على (عدم قبول التوسع الصينى فى منطقة المحيط الهادئ وبحر الصين الجنوبي، بالإضافة إلى إمكانية فرض عقوبات أمريكية جديدة على الصين، والإغلاق المتبادل للقنصليات فى حال ازدياد حدة الصراع فى تلك المنطقة بعد حرب أوكرانيا)، خاصة مع رغبة الولايات المتحدة الأمريكية فى إظهار تفوقها عالمياً وإحراز أى نصر أو تقدم ربما بشكل زائف ضد الصين.

طريق الحرير

يعد طريق الحرير الصينى بمثابة طاولة صراع استراتيجى مستمر بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، تلوح فيه واشنطن بعرقلة مشروع طريق الحرير، والذى يربط الصين بالعالم كله عبر شبكة من الموانئ وخطوط السكك الحديدية والطرق السريعة.

ونلاحظ بأن كلا المنفذين أو الطريقين الاستراتيجيين للصين فى «إقليم شينغيانغ وإقليم أركان فى دولة ميانمار» يجنبان الصين المرور عبر (مضيق ملقا، الواقع بين إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة)، وتفرض الأساطيل الأمريكية نفوذها عليه، خاصة وأن ٩٠٪ من تجارة النفط للبلدان المطلة على بحر الصين الجنوبي، بما فيها الصين، تمر عبر هذا مضيق ملقا القريب من هذا البحر.

على الجانب الآخر، ربما وفقاً للرؤية الصينية ذاتها، بأن تلك التدابير والتأثيرات السلبية لحرب أوكرانيا، قد تدفع الصين إلى العمل مع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تخفيف القيود التجارية التى فرضتها إدارة الرئيس الأسبق "دونالد ترامب" على الشركات الصينية.

وربما يمكننى توقع بأن أى تخفيف قد يطرأ على التوترات الاقتصادية والتجارية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية ربما سيكون مؤقتاً ومرهوناً بظروف معينة، وسوف تبدأ بعدها حدة التوترات مرة أخرى بين الطرفين.

يتوقع استمرارالسعى الأمريكى لتحجيم أسواق التكنولوجيا الصينية وعزلها عن بقية العالم، خاصة مع مواصلة وضع واشنطن العقبات أمام حصول الشركات الصينية على مكونات صناعية وأجهزة مهمة أمريكية الصنع. فقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل فى تطبيق قيود أكثر صرامة على نقل التكنولوجيا إلى الصين، لذا تشير التوقعات إلى فرض المزيد من القيود الأمريكية على الصين.

وتعمل وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) بدءاً من العام الحالى على سد كافة الثغرات التنظيمية التى سمحت للشركة الصينية المعروفة لتصنيع أشباه الموصلات، والمعروفة باسم شركة "سميك كوندكتو" SMIC Semiconductorوالتى تعد بمثابة أكبر شركة لتصنيع الرقائق فى الصين، قامت بشراء التكنولوجيا الأمريكية المهمة.

ونجد أنه من المرجح أن تضاف شركات وكيانات اقتصادية صينية إلى القائمة السوداء لوزارة التجارة الأمريكية، مع طرح نقاشات بشأن ضوابط التصدير بين الولايات المتحدة وحلفائها بالإضافة إلى التدقيق فى قضايا الاستثمارالأجنبى المباشر فى الصين.

وخلال عام ٢٠٢٠، تم شن حملة استهدفت كبرى شركات التكنولوجيا بما فى ذلك عملاق التجارة الإلكترونية الصينى "على بابا" وشركة "تينسنت" وكبرى شركات العقارات، مثل "إيفرغراند وكيسا"، وغيرها.

وهنا نرى، بأن تلك التدابير الصينية والأمريكية ستؤثر سلباً على الاستثمارالأجنبى فى الشركات الصينية، مما سيجعل المستثمرين الدوليين فى حالة حذر تام.

ومن المتوقع بعد حرب أوكرانيا، بأن يشهد الاقتصاد الصينى والأمريكى والعالمى تباطؤاً كبيراً خلال الفترة